والحرب معاً . ولا يردها عن هذا الهجوم إلا علمها بأن مشروعنا هذا في طريق التنفيذ . فما هي الخطوة الأولى التي نخطوها في هذا السبيل ؟

أولا . إذاعة هذا المشروع على جميع الشعوب العربية وحثها للعمل بمقتضاه . وأول ما يقتضيه هو السعي لدى الحكومات أن تقبله على اعتقاد أنه هو السبيل الوحيد لإنقاذ الأمم العربية من الخطر الصهيوني لكي تساعد على انتخاب البرلمان الشعوبي العام .

ثانياً : استدعاء ممثلين من كل أمة عربية لعقد مؤتمر للبحث الجدي في هذا المشروع وتقريره وإنشاء ميثاق له ودستور لبرلمان الشعوبي .

٢ ش البورصة الجديدة القاهرة

فتوح العراد

أنا ... والمـــوت !

للأســـتاذ راجي الراعي

رأيت الموت أمس جالساً بين القبور يتأمل ما صنعته يداه ، ومنجله الدامي إلى جانبه ، فبرأني عليه سكونه ، وأن المنجل ليس في يده ، فأتيته ... فتفرّس فيّ ، وقلّب قلبي بين جفنيه ، ثم زفر قائلا :

— ما الذي جاء بك ! إن ساعتك لم تأت بعد !

— ولماذا تزفر ؟

لأنك لم تقع بعد في يدي ؟

— ومتى أقع فيها ؟

— تقع فيها يوم تبلغ حدك المرسوم ، أو يوم تطلبني !

— وهل أنت تُطلب ؟ إنني أتخيلك وفي يدك المنجل تطارق الأبواب وتدخل متى شئت !

— لا ، لست وقفاً إلى هذا الحد . أنا لن يبلغ المئة ، وهي الحد الأخير الذي أقيم لعمر الإنسان ، فإذا بلغته أقبلت عليه وأعدته إلى ترابه ، ولا آتيه قبل ذلك إلا إذا دعاني !

— وكيف يدعوك ؟

— يأثم ويشذ عن الصراط القويم ، ويجن جنونه ، فتحترق كبده ، ويجف عرقه ، ويتضخم قلبه ... إن معظم الذين يموتون يقبلون عليّ قبل أن أقبل عليهم ، ويسوقونني إليهم سوقاً كأن الحياة عبء عليهم ، وكأنهم يستطيبونني !

— ألم تتعب بعد من الحصاد أيها الموت ؟

— وهل تعبت الحياة من زرع بذورها ؟

— أليس لك ساعة تموت فيها ؟

— الأقوياء الخالدون يميتونني ، ثم أبعث في الضعفاء حيّاً !

— من يشحذ منجلك ؟

— حنين التراب إلى بنيه .

— كم بلغ عدد الذين قبضت عليهم حتى اليوم ؟

— إن عددهم في التراب عدد ذرّاته ... فكيف أحصيهم ؟

— أين أنت مني الآن ؟

— كلما نبض قلبك نبضة خطوت إليك خطوة !

— ما هي كلمتك في لغة الأحياء ؟

— الرحيل ...

— أحقاً أنك القبح كله والقسوة كلها ؟

— يقولون ذلك ، ولكن من أراح الإنسان من ألم الحياة ، وطول البقاء ، وأطال به على دنيا قد ينتظره فيها النعيم ، لا يكون قاسياً قبيحاً ، بل جميلا رحيماً ...

— أتكون الموت وتذكر الجمال والرحمة ؟

— نعم ، أذكرها وأذكر شيئاً آخر هو النبطة التي يشعر بها الراقد في سريري .

— ما هو كتابك ؟

— أنا كتاب عنوانه الولادة ، وسطوره مطموسة ، وخاتمته رسم يتكشف عن جفن مطبق على قلب مطعون ...

— ما أقل ما نلذك رؤيته في الأرض ؟

— قطع السنابل في الحقول ، وجمع الكثبان من الرمال !

— أين تقيم ؟

— وراء الباب ، وفي الزاوية ...

— وأين أيضاً ؟

— في السلة الماسية ، والشريان الجاف ، وفي عقل المجنون ، وإرادة العاشق ، وشهوة الزاهد ، وثمالة الخمر ؛ وفي موجة البحر ، وموجة اللهيب ، وفم الجلد ، والصاعقة ، والبركان ، وناب الأفعى ، وضمائر بعض الناس ، وجبين الأنبياء ...

— أين ترى ظلك في الناس ؟

— في الحصّاد والحطاب والحفار والجزار والجلاد والمنتحر.

— كيف أنت وهذه الأثوبة الخفاقة ؟

— ترائي هو اللواء الذي يخفق في أفسح الأجواء .

— أي الألوان والأصوات أحب إليك ؟

— السواد والحشرجة ...

— كيف أنت والحروب ؟

— أرى فيها أخصب مواسمي .

— والحب ؟

— الحرب بيننا سجال .

— والجريمة ؟

— إنها ... ليفنى ...

— والشمس ؟

— إن لهذه المتجرفة الهازئة بي في أعالي الفضاء يوماً من أيامي ، وقبراً من قبوري ... إن أشعتها أصابع النور ، وهذه الأصابع ستقطع يوماً ... وفي ذلك اليوم تنتهي المهزلة الأرضية ، وأقبض عليكم جميعاً في لحظة واحدة ... انظر إليها ، لقد جاوزت حد الشباب ، وهي الآن في كهولتها ، وعما قريب يدب فيها الهرم .. سيملكم النور وأنتم في فنون حيوانيتكم لا تستحلونه .. إنكم تقايلون هذه الشمس التي تكرهكم كل يوم باللؤم والجحود . إن حماجتكم تكره جمالها ، ولو أمكنكم أن تصعدوا إليها وتطفئوها لفعلتم !

— كيف تريد أن أرسمك أيها الموت ؟

— ارسمني قمة لجبل الحياة ، أو حجراً في القلب ، أو سليباً في الحب ، أو شبحاً يقهقه في رحم المرأة ، أو عظمة في حلق الأمل

— من أنت في الأدب ؟

— أنا ثائر أنثر ما تنظمه الخليقة .

— كيف أنت والجوع والظمأ ؟

— لا أعرفهما ، فقد ولت التخمة تقتلني ، والدماء في فمي ...

— والرقاد ... هل تعرفه ؟

— كيف أرقد وأنا هو الليل ، وهل يرقد الليل ؟ أنا إن رقدت هلكت الخلائق ، وصمت الحياة فوق أحلامي هازئة بي ، وأفلتت من يدي .. أنا اليقظة الكبرى ، فكيف أطبق أجفاني ؟

— كيف تراني أيها الموت ؟

— أراك تنأى بخيالك عن الحياة ، وتدنو مني ... إنك تعيش في عالم الأشباح ، وهو من عوالمي ... إن مطارق الخيال والتصوف تهدم فيك تمثال البقاء ...

— لي حاجة أسألك قضاءها

— وما هي ؟

— إذا دقت ساعة الرحيل ، فلا تقبض علي وأنا مقوس الظهر اتوكأ على عصاي ... اقبض علي وراعي ينطح الأفق ، وقدي راسخة في الأرض لكي يقال إني صارعتك ، وفي ذلك عزائي في بلية الترب ... أنا لا أحب النتيمة الباردة ... اقبض علي وأنا أحدق إلى الشمس ، وأفتش عن وجه الله ، حتى إذا مثلت بين يديه تذكر أني كنت بريئاً جريئاً ... فتش عني في أعماق قلب الحياة ، وانتزعني منها إذا استطعت . ولا تنتظر أن أجمع بقاياي لأرمي بنفسي على باب بيتك ... والويل لك ثم الويل إذا أنت مسست روحي ، وتجرأت على خيالي ... إن خيالي أقوى منك فحذار ...

— إن خيالك يتكلم الآن ... أما أنت ... وهنا نفخ الموت نفخة جعد لها دمي ، وحدق في منجله الملقى إلى جانبه ، وأخذ يهز رأسه ويحملق ويتمتم ، فخيل إلي أنه يقول لنفسه : لقد أتعبني هذا الوقح بتحديه وأسئلته التي لا آخر لها ، فإذا وكزته بهذا المنجل ، أو لوحت به أمام عينيه كف عني . فتملكني الرعب ، وكاد يهوي قلبي ، فشددته بيدي ورحت أهرول مطلقاً ساقي للريح ، لا ألتفت إلى الوراء ، وأنا أحسب أن الموت يجد في أثري ... وبعد قطع الثلاث من الأميال وأنا أعدو كجياد المتنبي الذي قال فيها :

عقدت سنابكها عليها عثيرا لو تبتغي منها عليه لأمكنا

وقفت عند ينبوع يتدفق بالحياة وأنا أرتجف وألهث إعياء ... أحب الماء وأنا لا أصدق أنه الماء ، وأجس رأسي وصدري وما في من شرايين وأوردة ودماء بعد أن تحدثت إلى الموت ...

نعم ، الموت الذي لا يفتح فمه إلا ليشرب الدماء ...

رامي الراعي